المحاضرة الثالثة

دوافع الزواج

لا يُقدِم أحدٌ على أمرٍ ما إلا بدافع يدفَعه إلى القيام به، ساعياً بسلوكه لتحقيق الدافع، فإن لم يحقق سلوكُه دافعَه بحث عن سلوك آخر.

وبناء على هذا فإنْ لم يُشبِع الزوج أو الزوجة الدافع الذي دفَعَهما إلى الزواج فسيواجهان عدداً من المشكلات المباشرة وغير المباشرة، الأمر الذي سيؤدي إلى ضعف الأسرة وتفكُّكها عاجلاً أو آجلاً.

فالمطلوب من كل زوج وزوجة أن يعرفا الدوافع التي دفَعَت كلاً منهما نحو الزواج لإشباعها وإروائها. ومطلوب من كلٍّ منهما مساعدة الآخر في إرواء دوافعه بالطرق المشروعة.

لماذا يتزوج الشاب...؟ ما الذي يدفعه إلى هذا الأمر...؟ ولماذا تتزوج الفتاة...؟ ما الذي يدفعها إلى هذا الأمر...؟ هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة .

وتكمُن أهمية هذه المحاضرة في أمرين:

الأمر الأول

على كلّ شابٍّ مُقدِم على الزواج أن يَعرف دوافع زوجته التي

obeikandl.com

دفَعَتها إلى الزواج، حتى يُشبِعها لها؛ لأنَّ الزوجة إذا لم تَنَل مقصودَها من الزواج فستصطَنع المشكلات بشكلٍ إراديٍّ أو غير إراديٍّ، ويؤول أمرُ الأسرة إلى الطلاق أو عدم الوفاق.

وكذلك ينبغي على الفتاة القادمة نحو الزواج أن تعرِف لماذا يريد زوجها الزواج؟ ولماذا أراد أن يقترن بها؟ لماذا أقبل نحوها بالذات؟ ما الذي دفَعَه؟ لأنَّ مِن واجباتها أنْ تُشبع له دوافعه، وإلا فسيصطنع المشكلات بشكلٍ إراديٍّ أو غير إراديّ، ليؤدّي ذلك إلى خللٍ كبير في الأسرة.

الأمر الثاني

يذهب بعض الشباب والفتيات نحو الزواج لدوافع غير صحيحة، يتوقَّعون توقُّعات أكبر من الحقيقة، فأقول لهم: لتكن توقُّعاتكم معتدلة، صحيحة، مقبولة؛ لأنها إن كانت على غير ذلك فسيفاجئكم الواقع بعد الزواج.

أرأيتم لو أنَّ رجلاً شارك آخر في تجارة، وتوقَّع أن يكون الربح من هذه الصفقة عشرات الملايين، فإن لم يكن الأمر كذلك، وربح بضعة آلاف، فسيُصدم بهذا الربح، ولعله سيتشاجرُ مع شريكه، مع أنهما ربحا، لكنَّ التوقُّعات كانت أكبر من الواقع. كذلك الفتاة أو الشاب الذي يُقدِم على الزواج وفي ذهنه توقعات غير واقعية، فإنه سيُصدم بالواقع بعد الزواج، ولعلَّ الأمر يؤول إلى ما لا يُرضي.

ومن خلال هذين الأمرين تبرز أهمية هذه المحاضرة، فلا بد من

أن يعرف كلٌّ من الزوجين دوافع الآخر، وأن تكون نظرته إلى الزواج متَّسمةً بالواقعية.

دوافع الزواج

للزواج ستة دوافع:

١- الدافع الديني

وهو أنبل الدوافع التي تدفَع الرجل أو المرأة نحو الزواج، وليجتهد كلٌّ مُقبلٍ على الزواج في اكتساب هذا الدافع بالالتحاق بمجالس العلم والذِّكر.

إنّ عدداً من الشباب يقدم على الزواج مدفوعاً بهذا الدافع، يدفعه قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٢٤/ ٣٢]. ويدفعه قول رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصَر وأحصَن للفَرْج..**»[(١)]. يحرّكه الدّين نحو الزواج، تدفعُه سُنَّة الأنبياء، وسنة الله في أرضه، فهو يمتَثِل بالزواج أمْرَ الله وأمْرَ رسوله ﷺ. فإذا اندفع الشاب أو الفتاة إلى الزواج من هذا الباب، وكان الآخر لا يكتَرِث لذلك فستقع الأسرة في ما لا يرضي؛ لأنّ أحدهما ينظر إلى أوامر الله في تصرُّفاته مع الأسرة، لكن الآخر لا ينظر إلى ذلك.

والحقُّ أنَّ الحياة مبنيّة على الاختلاف، وهو سُنّة الله تعالى في

(١) متفق عليه.

هذا الكون، ويستحيل أن يتطابق زوجان بنسبة مئة بالمئة في الأفكار، والميول، والعواطف، والآراء، ومخطَّطات المستقبل... فإن كان شرْعُ الله عز وجل حاكماً بين الزوجين في توافقهما واختلافهما سَلِمت مسيرة البيت، أما إذا حكَمَت الأهواء والشهوات، فسيُكسر هذا القيد الذي يمسِك بالأسرة.

فالدافع الديني أنبلُ الدوافع التي تدفَع الشاب أو الفتاة نحو الزواج، وبه يسلَم الرَّكب وتحلو الحياة. بالدافع الديني تتجمَّل الزوجة لزوجها، ترجو بذلك ثواب ربها ورضا زوجها، ويُنفِق الزوج على أهل بيته، يقصِد بذلك التقرُّب إلى الله تعالى وإدخال السرور على أهله.. وهكذا يحمل الدافع الديني كِلا الزوجين على بِرّ صاحبه، وسَوق الخير إليه، ويضفي على البيت روح السكينة والاستقرار.

فإن كان أحد الزوجين مُفتقِداً لهذا الدافع لَزِم الآخر أن يذكِّره به ويدفعَه نحوه، فإن لم يجد الزوجُ الدافعَ الدِّينيّ عند زوجته فليَزرَعه فيها، وليعزِّزه عندها، وكذلك الزوجة إن لم تجد هذا الدافع عند زوجها، فلتُذكِّره بالله، وبأنّه مأجور على رعاية أهله وبيته، وبأنَّ الله عز وجل يُبارِك له في رزقه لأنّه يسعى عليهم.. ولتشكره على امتثاله أمر الله تعالى في نفقتهِ عليهم. إذا ذكَّر كلٌّ منهما الآخر بالله مراراً، وتَعزَّز بذلك الدافعُ الدينيُّ لديهما، فقد ضَمِنَا حياةً أكثر توافقاً وانسجاماً.

وهذا الدافع هو ما يُسمى في ديننا: (النيّة)، والنية هي التي

تجعلُ من كلِّ أعمالك عباداتٍ إن شئتَ، وإن كانت أعمالاً اعتيادية كطعام وشراب ونوم وما إلى ذلك. قال العلماء: الفارق بين العبادة والعادة هو النيّةُ. فإن ذهب الرجل مع زوجته وأولاده في نزهة - مثلاً- بنيَّة إدخال السرور عليهم أُجِر على ذلك. ثم إنك تجده يستقبل أخطاء أسرته وطلباتها بصدر رحب، أما إذا نُزِع الدافع الديني من الأسرة، فيكثُر شجارها وتعود من نزهتها بهَمٍّ وغَمٍّ عوضاً عن السرور. وكذلك الزوجة: يكون زوجها كثير الغضب مثلاً، فإن راقبَت الدافع الديني في حال غَضَبِ زوجها، وتذكَّرَت أنَّها تتحمَّل ذلك منه تقرُّباً إلى الله تعالى، وتَصبِر عليه لمنزلة عند الله عز وجل ترجوها ولا تنالُها إلا بالصبر، فإنَّها تستقبل هذا الخُلُق السيِّئ بإيجابية واتّزان، أما إذا رُفع الدافع الديني، وكلّمها زوجها كلمة غير مناسبة، قال لها شيطانُها: رديها عليه صاعين، وإن رفع صوته مرة فارفعي صوتك ضعفين، وهكذا... حتى يُوقِع بينهما العداوة والبغضاء.

قال زيد بن سُعنَة وكان يهودياً اشترى من رسول الله ﷺ تمراً إلى أجَل وأعطاه ثمنَه: (فلما كان قبل محلِّ الأَجَل بيومين أو ثلاثة أتيتُه ﷺ، فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظ، فقلتُ له: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله ما عَلِمْتُكُم بني عبد المطَّلب بمُطْل [يعني: مماطلين]، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرتُ إلى عمر رضي الله عنه، فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببَصَره، فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمَعُ وتصنَع به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذرُ

فوته لضربتُ بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسُّم، ثم قال ﷺ: «**يا عمر، أنا وهو كنّا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرَني بحُسن الأداء، وتأمرَه بحُسن التّباعة، اذهب به يا عمر فأعطِه حقَّه، وزده عشرين صاعاً من تمر**»، فقال زيد: قلتُ: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمَرَني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نَقَمْتُك، قلتُ: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، مَن أنت؟ قلتُ: زيد بن سُعنة، قال: الحَبر؟! قلت: الحَبر، قال: فما دعاك أنْ فعلتَ برسول الله ﷺ ما فعلتَ، وقلتَ له ما قلتَ؟ قلتُ له: يا عمر، لم يكن من علامات النبوَّة شيء إلا وقد عرفتُه في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنين لم أخبرهما منه: هل يَسبِق حِلمُه جَهلُه؟ ولا تزيدُه شدَّة الجهل عليه إلا حِلماً، فقد اختبرتهما، فأُشهِدك يا عمر أني قد رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وأُشهِدك أنَّ شطر مالي -فإني أكثرهم مالاً- صدقة على أمَّة محمد ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: أو عَلى بعضهم، فإنك لا تسعهم! قلتُ: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله)[1].

إذن فعند وجود الوازع الدِّيني، والدافع الدِّيني، والرَّادع الدِّيني، يتحوَّل الموقف السلبي إلى إيمان، أمَّا إذا لم يكن هناك وازع ولا دافع ولا رادع ديني، فمن الممكن أن يتحوَّل الموقف الإيجابي إلى موقف سلبي!!

(١) الحاكم في: المستدرك وصححه، والطبراني في: الكبير.

لذلك كان على كل شاب قادم نحو الزواج أن يجعل نيّته في زواجه التقرُّب إلى الله تعالى، ولا بأس إن كان مع ذلك الدافع غيره من الدوافع التي سنأتي على ذِكرِها.

أما الشاب المتزوِّج -إن لم يكن استحضر هذه النية- فليصحِّح نيته، وليُذكِّر زوجته الآن بتصحيح نيّتها، حتى يَسلمَ المركب، وتستمر الأسرة.

٢- الدافع الاجتماعي

ما زال المجتمع الصَّحيح السَّليم ينظر إلى الشاب العزب على أنه برُتبةٍ دون رتبة المتزوج، فيستغربُ حالَ رجل جاوز الثلاثين ولم يتزوج، ويسأله: لماذا؟! ويستغرب حال فتاة جاوزت الخامسة والعشرين ولم تتزوج، ويَسأل: لماذا؟!

لذلك فإن هذا الدافع الاجتماعي يجعل عدداً كبيراً، أو عدداً لا يستهان به، من الناس يُقبِلون على الزواج. وهذا دافعٌ صحيح، وهو دليلٌ على سلامة المجتمع.

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ الدافع الاجتماعي يحمل الزوج على عدم قَطْع أواصِر الصلة بالمجتمع عن زوجته بغير عذر مبرّر، فبعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من التواصل مع المجتمع، مهما كانت الصلة: لا يأذنون بصلة أهل، ولا جارات، ولا بنات عم أو عمة، أو خال أو خالة.. يريدون أن يقطعوا كل تواصل، حتى عن طريق الهاتف!

obeikandl.com

ولعل الزوجة هي من تطلب هذا من زوجها، فتريد قطع علاقاته مع أسرته، وأقاربه، وجيرانه.. أو تسعى لإفساد هذه العلاقات.

إن الإنسان اجتماعي بفطرته، فلا يليق بالرجل أن يقطع عن زوجته أواصر الصلة المشروعة بالمجتمع، ولا يليق بالزوجة أن تسعى لقطع هذا التواصل المشروع عن زوجها.

فإذا ابتُلِيَت امرأة بزوج قاطع للصِّلات المشروعة فهي بين أمرين:

١-إما أن تتَحمَّل وتصبر، وزوجُها محاسَبٌ بذلك عند الله لظلمه إيّاها، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

٢- وإما أن تطلب الطلاقَ إن ضاقَ صبرُها.

وهذا محمول على عدم وجود سبب مُقنِع شرعي أو عقلي لمنعِ هذه العلاقات، أما إن وُجد السبب كسوء خلق جارة مثلاً، فليتدارس الرجل مع زوجته منع هذه الجارة من دخول البيت، وعدم ذهاب الزوجة إليها، وكذلك الحال إذا كانت إحدى القريبات مؤذية، فهذا سبب يبيح للزوج قَطْعَ هذه الصلة.

أما قطعُها من دون سبب معقول أو مشروع كأن يقول الزوج: أنا أغار على زوجتي جداً، لذلك أُقفِل الأبواب عليها حتى لا تخرُج!! فهذا مَرَض. أو أن يمنَع علاقة زوجته بأمِّها، فلا يجوز هذا شرعاً؛ لأنه مَنعٌ من البِرّ، وسيؤدّي فيما بعد إلى سوءٍ في علاقة الزوجين، ويورث الضَّغائن بينهما. أو يقع العكس: كأن يطلب الزوج من

زوجته الذهاب إلى أُخته لمناسبة ما كولادة، فتأبى وتتذرّع بأنها لا تُحب مثل هذه المظاهر الاجتماعية، ولعلَّها فعلاً لا تُحبّ ذلك، لكنّ قَطْعَ هذه العلاقات الاجتماعية سيورث ضغينة في قلب الزوج؛ لأن هذا من الأسباب التي دفَعَته نحو الزواج، فهو يُحب أن يكوِّن أسرةً، ويحبُّ أن يعتزَّ بأُسرته زوجتِه وأولاده، أن يكونوا معه في مناسبات العائلة، وبامتناع الزوجة تكون قد أفسَدَت على زوجها أحد دوافعه إلى الزواج، ومن ثَمَّ تبدأ المشكلات في حياتهما الزوجيَّة.

الدافع الاجتماعي دافعٌ يُعزِّز علاقة الرجل بزوجته إذا كانت العلاقة الاجتماعية صحيحة وشرعيَّة، أما إن كانت العلاقات الاجتماعية غير شرعية وغير صحيحة كأن تستقبل الزوجة مثلاً أخا زوجها، وهي وحدها في البيت فهذا أمر محرم وغريب! قال رسول الله ﷺ: «**الحمو الموت**»[1]، فدخوله عليها في غياب زوجها محرَّم.

أقول: كيف يدخل أخو الزوج على زوجة أخيه، وهي وحدها في البيت؟! ويسوّغ بأنه معتاد أن يأتيهم بحاجات البيت كل يوم، فيُدخِلها إلى المطبخ، وربما سَأَلَته زوجة أخيه بعض الحاجات؛ لأن أخاه مشغولٌ بعمل أو سفر. أو كيف يتَّصل الرجل من مكتبه ببائع الغاز، ليقول: خذ لي أسطوانة الغاز إلى البيت، فتفتح له الزوجة، وهي وحدها في البيت، ويدخل إلى المطبخ، ثم تكون

(١) متفق عليه. الحمو: أخو الزوج وأقاربه.

الكارثة، كيف يفعَل الرجل هذا؟ وكيف ترضى الزوجة أن تُدخِل عليها رجلاً غريباً في غياب زوجها؟!

هناك عدد مُرعب من الحوادث في هذا الشأن، والسبب أن هذه العلاقات الاجتماعية محرَّمة غير مشروعة.

يدخلُ ابن العم إلى زوجة ابن عمه في غيبة زوجها وأهلها، ولئن سأَلته كيف تفعل ذلك والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والدخولَ على النساء**»[١]، ويقول: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[٢]؟ أجاب: نحن في العائلة كالإخوة! هذا غيرُ صحيح؛ إذ ليسوا كالإخوة، بل يباح لكل منهما الزواج من الآخر، ويبقى الشرع فوق كل فلسفة وضعيَّة.

٣- دافع الأبوّة والأمومة

هذا الدافع من أقوى الدوافع عند الإنسان، وهو عند المرأة أقوى، ولعلَّ بعض الفتيات يتزوَّجن بقصد الإنجاب وحسب، بهدف أن تحمل ولداً يقول لها: يا أمي. فإذا منع الزوج زوجته من هذا الحق، وأراد تأخير الإنجاب سنوات لظروف معيَّنة، أثَّر ذلك سلباً في هذا الدافع، الأمر الذي يؤثر في حياتهما الزوجية. كذلك يُحبّ الرجل أن يكون أباً، ويدفعُه ذلك إلى الزواج، فيُفاجأ بزوجة لا تحبُّ الحمل؛ حتى لا يتغيّر شكلها، ولا تفقِد رشاقتها، أو لئلا تُضيِّع كثيراً من وقتها في البيت مع أولادها...!!

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي.

هذه الصور ستؤدي بالبيت عاجلاً أو آجلاً إلى مشكلة كبيرة.

ومن هنا حَرَّم الشرع تحديد النَّسل:

- **ما معنى تحديد النَّسل؟**

هو صدور قانون في دولة ما، يمنع إنجاب أكثر من ولد، أو ولدين أو أكثر.

في إحدى الدول الشرقية منَعوا أن تُنجب الأسرة أكثر من ولدين، فكان بعض من يحب المولود الذكر إن جاءته أنثى قتلها ورمى بها، وكذلك يفعل.. إلى أن تلد زوجته ذكراً!! إن تحديد النسل محرم.

أما تنظيم النَّسل فجائزٌ شرعاً:

- **ما معنى تنظيم النَّسل؟**

هو أن تنصح الجهات الرسمية -لسبب ما- بعدم الإكثار من الأولاد، أو أن يتَّفق الزوجان على هذا الأمر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المُصْطَلِق، فأصبنا سَبْياً من سَبْيِ العرب، فاشتهينا النساء، واشتدَّت علينا العُزْبَة، وأحببنا العزل -يعني: استخدام الطُّرق الطبيعية لمنع الحمل-، فأردنا أن نعزل، وقلنا: نعزلُ ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا قبل أن نسأَلَه؟ فسألناه، فقال: «**ما عليكم أن لا تفعلوا، ما مِنْ نَسَمَة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي**

كائنة»[١]، يعني: إذا قدَّر الله أن يكون الولد فسيكون، والشاهد أنّه أَذِنَ لهم في هذا الأمر. وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «**كُنَّا نعزلُ على عهد النبي ﷺ والقرآن ينزل**»[٢]، يعني نَعْزِلُ عن نسائنا. والعزل تنظيمٌ للنسل.

ويجدر بالذِّكر حرمة طُرُق منع الحمل التي تسبب العقم كاستئصال الرَّحِم، أو استئصال المبيضَين، أو البوقين، ما لم يكن السبب طبّياً مُلجئاً.

٤- الدافع الجنسي

هو الميل الجسدي للرجل نحو المرأة وميلها نحوه، وحاجة كلٍّ منهما إلى الآخر، وهو أمرٌ فَطَرَه الله تعالى في الرجال والنساء، ومَن لم يَجِد ذلك في نفسه فعليه بمراجعة الأطباء.

وقد أجرى الإسلام هذا الأمر في أقنية شرعيَّة، وسلكه مسالك نظيفة، وهي مسالك الزواج؛ ليجد كلٌّ من الزوجين كفايته فيه، فإن تخلَّف أحد الزوجين عن أداء حقِّ الآخر في هذا الأمر فقد خالف أمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرةً فراشَ زوجها لعَنَتْها الملائكة حتى تُصبِح**»[٣].

ولأن الزوجة إن لم تُحصِن زوجها يُخشَى أن يتَّجه إلى ما لا يحل

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

له، وتبُوء بإثمه لجهلها وخطئها، فليس لها أن تنشغل عنه أيَّاً كان الشاغل، حتى وإن كان عبادةً.

مِن النساء مَنْ تذهب لزيارة أهلها، وتغيب عن بيتها أسبوعاً أو أكثر، ثم تتَّصل بزوجها وتسأله: هل ينقُصُك شيء؟ أأُرسل لك طعاماً؟ هل الثياب مغسولة؟!

أعرف طبيباً ذا مكانة اجتماعية، وزوجته مهندسة لها مكانتها أيضاً، طلّقها لانصرافها عن شؤون زوجها وبيتها، قال لي: إنّه إذا جاء إلى بيته لم يشاهد زوجة، بل شاهَدَ مهندسة، وهو يريد زوجة داخل البيت تَتَحبَّب له، وتَتَودَّد إليه.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: (بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سَمِعَتْ بمَخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعَثَك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنَّا -معشر النساء- محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعدُ بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم -معاشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجَّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفِظنَا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتَفَتَ النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال:

«**هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟**» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!! فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: «**انصرفي -أيتها المرأة- وأَعْلِمِي مَن خَلْفَك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطَلَبَها مرضاته، واتِّباعَها موافَقَتَه تعدل ذلك كلَّه**» قال: فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً)[1].

فتجمُّل المرأة لزوجها واجبٌ تنال به أجراً عظيماً، على حين أنَّ إهمالها زوجَها وانصرافَها عنه يوقِعها في الإثم.

ومثلُ هجر المرأةِ زوجَها هجرُ الرجلِ زوجتَه، كلاهما إثم محرَّم. قال الله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤] قال ابن كثير في تفسيره[2]: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: الهجران هو ألّا يجامعها، ويضاجعُها على فراشها ويوليها ظهره». وكذا قال غير واحد. فلا يترك الرجل الفراش، بل يهجرها فيه، وهذه عقوبة شديدة لا تُستخدَم إلا عند حاجتها، وسنأتي على ذكرها؛ ذلك لأنَّ الدافع الجنسي أحد دوافع الزواج.

عن عون بن أبي جُحَيْفَة عن أبيه قال: (آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَذِّلةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال:

---

(١) البزار في: مسنده، والبيهقي في: الشعب.

(٢) ٢/ ٢٩٤.

كُلْ، قال: إني صائم، قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأَكَلَ. فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال سلمان: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إن لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى أبو الدرداء النبيَّ ﷺ فذَكَرَ ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[1].

نعم، لأهلك عليك حق؛ لأن حاجة المرأة إلى الرجل حاجةٌ فطريَّة، وحاجة الرجل إلى المرأة كذلك فطرية. يقول الإمام الغزالي: «إن الزواج يساعد [الرجل والمرأة] على التحصُّن عن الشيطان، وكَسْرِ التوقان [يعني: ميل النفس الشديد] ودفع غوائل الشهوة، وغَضِّ البصر، وحِفظ الفَرْج»[2].

ومع كل هذه الأهمية التي أولاها الشرع هذا الميلَ الفطري، إلا أنه من الخطأ أن يُجعل هذا الدافعُ الدافعَ الوحيد إلى الزواج، فقد لوحِظ عدم استمرار الزيجات القائمة على هذا الأمر منفرداً في الغالب، والذي نراه على الشاشات الفضائية السافرة، أو المجلات الماجنة من تضخيم لشأن هذا الميل دعا الشباب والفتيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى اعتقاد نظرية فرويد: أنَّ الإنسان يعيش لقضاء شهوته الجنسية فقط، الأمر الذي أدّى إلى دمار كثير من البيوت والأسَر.

---

(١) أخرجه البخاري والترمذي.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٧.

إذا بنى الرجل اختيار زوجته على هذا الأساس وحسب فقد أخطأ؛ لأن الدافع الجنسي ليس هو الحياة كلها، إنما هو جزء منها، والحياة الزوجية أجزاء كثيرة؛ منها الأخلاقية، ومنها السلوكية، ومنها العملية، والرجل يحتاج إلى زوجة تلبي فيه الدافع الديني، والدافع الاجتماعي، وتحسن الكلام، وتحسن التعامل مع أحداث الحياة وطوارئها، فإن كانت الزوجة تُلبّي الدافع الجنسي وحده ولا تُلبّي باقي الدوافع، فالغالب أن هذه الأسرة ستضعُف عن متابعة سيرها في الحياة.

٥- الدافع النفسي

وهو مجموعة من المكنونات النفسية التي تدعو الشاب والفتاة إلى الزواج، منها:

*** الحاجة إلى الحب**

فَطَر الله تعالى الإنسان على الحاجة إلى الحب والتقدير، لذلك سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن ندعم هذه المادة فيما بيننا، فقال: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعْلِمْهُ**»(١). فإن افتقد الإنسان هذا الشعور في جماعة حوله تجده يسارع بالانصراف عنها، ليتجه إلى جماعة أخرى يجد فيها حاجته.

وإنَّ الزوجين هما أولى الناس بالحب، فعلى الزوج أن يَحُفَّ زوجته بالحب والعطف والرَّحمة، وعلى الزوجة أن تحفَّ زوجها

(١) أخرجه الترمذي.

كذلك بالحب والمودة والحنان. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (قيل: يا رسولَ الله، مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»...)[1]. نعم، كان النبي ﷺ يُظهر حُبَّه لزوجته؛ لأن الزوجة بحاجةٍ إلى زوج يُظهِر لها حبَّه، ويخبرها به، يتكلّم معها، فيُشعِرها بوجودها ومكانتها في بيتها وفي قلب زوجها.

يخطئ بعض الرجال في تعامله مع زوجته، حين يُسمعها كلمات تُشعِرها بثقلها عليه في بيته، ثم يعتذر بأنه كان يمازحها، إن هذه الكلمات مع تكرارها تجعل في قلب المرأة شيئاً يؤرِّقها، وربما انتهى الأمر بما لا يُحمَد. ولعل امرأة تخطئ في حق زوجها في حال خصام، وتُسمِعه كلمات تُشعِره بتضجُّرها منه وسَخَطِها على الحياة معه، إنَّ ذلك يزرع بذور التنافر بينهما.

إذا لم يَشعُر الرجل بأنَّ زوجته تحبُّه، وتقدّره، وتحترمه، ولم تُشعِره زوجتُه بأهميته، وبأنّه سيّدُ البيت، وبأنّه صاحبُ مكانةٍ عندها، وأنّها تنتظره من حين لآخر حتى يأتي.. وإن لم تَشعُر الزوجةُ بحبِّ زوجها لها، وتقديره جهدَها، واحترامه ذاتَها، فقد أخلَّ كلٌّ منهما بهذا الدافع النفسي، ومع مرور الأيام ستؤول الأسرة إلى النزاعات.

*** الحاجة إلى التقدير**

يحتاج الرجل إلى مَن يُقدِّره، ويحترمه، ويستشيره، وكذلك

(١) أخرجه الترمذي.

المرأة تحتاج إلى زوج يقدِّرها، ويحترمها، ويسأل عنها بحبٍّ وحنان.

فما المانع مثلاً إذا نوى الرجل أن يشتري أثاثاً جديداً لبيته أن يسأل زوجته عن رأيها، ينظر ماذا تحب، وما اللون الذي ستختار؟ ستشعر هذه المرأة بأنَّ زوجها يُقدِّرها، ويأخذ رأيها، سواء اشترى ما اختارت أو لم يشترِ. يريد أن يُغيِّر مكان عمله مثلاً، ما المانع أن يسألها عن رأيها؟ لعلَّها تفتقد الخبرة في هذا الأمر، لكنها تشعر عند سؤاله إيَّاها بوجودها وإنسانيتها .

أحياناً تُعيد الزوجة ترتيب أثاث البيت، ويأتي الزوج بعد عمله فلا يتفوَّه ببنت شَفَة، يدخل إلى البيت، يسأل عن الطعام، تسكت الزوجة وتقول في نفسها: لعله لم ينتبه لأنه متعَب، الآن ينتبه، ثم يبدأ يُحدِّثها بعد العشاء عن نهاره، وعمله، وما إلى ذلك، ولا يتكلَّم بشأن البيت كلمة! ثم تقول له: ألم تنتبه أني غيّرت غرفة الضيوف إلى غرفة الجلوس مثلاً؟! يقول الزوج: خيراً إن شاء الله!! أعيدي كل شيء إلى مكانه.. غداً..!!!

اجتهدَتْ من الصباح إلى المساء حتى تَسُرَّ زوجها، تَعِبَت لأجل ذلك، لكن الزوج يدخل فلا يأبه بما فَعَلَت، ستشعُر الزوجة بعدم الاحترام والتقدير، ومع الأيام ستهتزُّ الأسرة بالخلافات؛ لأنّ المرأة تزوَّجت باحثة عن ملء الدافع النفسي، تحتاج إلى من يقدِّرها، إلى من يحترمها، إلى من يراعي قراراتها ويراعي شأنها، إلا أن الزوج لم يكترث بذلك!!

أو تكون المسألة على العكس: المرأة تخطِّط وتنفِّذ، وتغدو وتروح من غير إذن زوجها، من غير أن تكترث به، يأتي الرجل بعد عَمَله إلى بيته فلا يجد زوجته! يسألها مساءً، تجيب: ذهبتُ لبعض شأني، أو: لديَّ أمرٌ تابعتُه!! سيشعُر الزوج عندها بعدم الاحترام والتقدير، ولعلّه اليوم يسكُت عن ذلك، لكن تراكمات هذه المواقف ستُوقِع البيت في مشكلة كبيرة.

فالزوج الذي يرى زوجته عند الصباح ترعى شأنه وتودّعه إلى الباب، لا يستوي أبداً مع زوجٍ تبقى زوجته نائمة عن واجباتها تجاهه لتستيقظ وقد ذهب إلى عمله.

*** الهرب من الوحدة**

الإنسان اجتماعيٌّ بفطرته، يأنس بالناس ويأنسون به، فلا يستطيع العيش منفرداً، والهرب من الوحدة أحد الدوافع إلى الزواج.

فتاة وحيدة في أسرتها، يخرج أبوها إلى العمل، وتذهب أمها إلى بيوت أقاربها، لتبقى وحيدة في البيت. ستتضايق من الوحدة وتَتَضَجَّر منها، فتَتَطلَّع نحو الزواج لتشعُر بالأُنس مع زوج يجتمع بها، ويجالسها، ويُكلِّمها، ويذهب ويأتي معها.

لكن المشكلة كلَّ المشكلة أن تُبتَلى بزوج يخرجُ من الساعة السادسة صباحاً إلى عمله ليعود في العاشرة ليلاً!

لا بد أنها بعد حين ستطلب الطلاق؛ لأنّها إنما تزوجت هرباً من الوحدة، فجاءها زوج سيُذيقها الوحدة سنوات أخرى، إنها لن تقبَل بذلك أبداً.

٦- الزواج لدوافع خاصة

يتزوَّج بعض الناس متأثِّرين بدوافع خاطئة من دون التفكير في غيرها، وهذا وهمٌ وخَلَل فكريّ كبير، وأتمنى على من وقع في ذلك أن يصحِّح نيَّته، ويطلب من الله تعالى التوفيق إلى الصواب.

فمن الأسباب الخاصة

الحصول على المال: كأن تتزوج الفتاة شاباً بهدف أن يَكْثُر المال بين يديها، أو يزوّجها أبوها من فلانٍ لأنّ ماله كثير، وستَنعُم معه في ماله، دون النظر إلى أخلاقة ودينه وعلمه وسلوكه. قال أحد العلماء: سألني رجل قال: تقدّم شاب إلى خطبة ابنته، لديه معمل، ومنزل في حيٍّ راقٍ من أحياء المدينة، وسيّارة فارهة، لكنه لم يكن ذا دين، ما رأيك؟ أزوِّجه؟ فقلت له: سأنصحك بما قال النبي ﷺ: «**إذا جاءكم مَن تَرضَون دينه وخُلُقَه فأنكِحُوه**»[1]، إذا اجتمع الدِّين والخُلق مع هذه الأمور فبها ونِعمت، وإلا فالدين والخُلُق مقدَّمان.

لم يستجب الأب للنصح، وزوَّج ابنته للشاب، وبعد سبعة عشر يوماً طلَّقها!! والعكس حاصل أيضاً؛ فكم من رجل تزوّج امرأة غنيّة للحصول على مالها. يقول النبي ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحَسَبها، ولجمالها، ولدينها**» فإذا اجتمعت الأربعة فبها ونِعمَت، ولكن إذا أردنا أن نُفاضل «**فاظفر بذات الدين تربت**

(١) أخرجه الترمذي.

يداك»[١]. اختر الملتزمة بدينها تربَح. جاء في الحديث: «**من تزوَّج امرأة لعزها لم يزِده الله إلا ذلّاً، ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله تعالى إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحُسنِها لم يزده الله تعالى إلا دناءة، ومن تزوَّج امرأة ليغضَّ بصره ويحصنَ فرجه ويصل رحمه فإن ذلك منَّة، وبورك له فيها، وبارك الله لها فيه**»[٢]. إذا كان الدافع إلى الزواج هو الحصول على المال وحَسْب، أو على الجاه وحَسْب دون النظر إلى أمرِ الدِّين، فإن عواقب الأمر لن تكون مرضيَّة في الغالب.

أُقِيمَ في أحد الفنادق خلال ستَّة أشهر ستَّة عَشَر حفل زواج، كلَّف الواحد منها الملايين، اتّصلت إدارة الفندق بعد هذه الأشهر الستة بأصحاب هذه الحفلات ليباركوا لهم، فوَجدوا أنّ ثلاث عشرة عائلة من هذه العائلات الستَّ عَشرة قد طُلِّقت، وبقيت ثلاث عائلات!!

زوّج أحدهم أختَهُ لرجلٍ ادَّعى أنّه يملك مجموعة فنادق في إحدى دول الخليج، والفتاة مدرِّسة في الجامعة، ولها مكانتها الاجتماعية، طَمِع الأهل بالمال مع عِلمِهم بأن الرجل غير مَرضي الخلق والدين، تزوّج الرجل الفتاة، وذهب بها إلى تلك البلاد، وإذا به يعمل في فندق من الفنادق! وقد أراد أن يؤذيها بأشياء لا ترضي الله ولا ترضي الشرف. أخبرَت الفتاة أهلَها بالأمر، وبعد صعوبة وجهد كبيرين استطاعوا أن يطلّقوها منه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) الطبراني وابن النجار.

فإن كنتَ مُقدِماً على الزواج، أو كنتِ مقدمةً على الزواج لكسب المال وحسب؛ فهذا خطأ كبير.

طلب الشهرة: وتُطلَب الشهرة بالاقتران برجل مشهور، أو بالاقتران بامرأة مشهورة، وإذا قصد الشاب والفتاة الزواج لأجلِ هذا الأمر وحده؛ فهذا خطأ كبير أيضاً.

الزواج للنكاية: كم من رجل تزوَّج على زوجته إضراراً ونكاية وكيداً بها، وقد تعلَم الزوجة الثانية هذا الأمر، إلا أنها لا تكترث به، وتطمع بفرصة الزواج المتاحة لها.

إذا علمَت الفتاة أنَّ دافع الشاب هو النكاية بزوجته الأولى لا غير، فلتعلم أنه على الأرجَح سيُطلِّقُها عندما تنتهي هذه النِّكاية وتعود الأمور إلى مجراها، ولعل ذلك يكون بعد أشهرٍ تَقِلُّ أو تَكثُر.

أعرِفُ شاباً أَرْهَقَتْهُ زوجته، فأراد أن يؤدّبها، فيما يرى، فتزوّج عليها نكاية وإضراراً، فكأنّها عادت إلى رُشدِها، فلما عادت طلَّق الثانية .

لا تَرضي -أيّتها المرأة- أن يكون زواجُكِ نِكايةً في غيركِ، ولعلَّك إن استمرَّ زواجك أن يتزوَّج زوجكِ غيرَكِ نكاية فيكِ.

هذه الأسباب الخاصة هي دوافع عند بعض الناس إلى الزواج، فإذا كانت هذه الأسباب وحدها هي الدافع، فالغالب عدم استمرار هذا الزواج.

وبعد: فهذه هي دوافع الزواج الستة، والغالب أنَّ كُلَّ شابٍّ أو فتاة يتزوجان تتعدَّد دوافعهما، فيمتزج دافعان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة بعضها مع بعض، لكن يرجَّح واحدٌ على آخر، وكُلُّ هذه الدوافع مشروعة محمودة، إلا دوافع الأسباب الخاصة فإنها غير مرضية ولا مشكورة، والله أعلم.

obeikandl.com